لماذا قتل عثمان

رضي الله عنه؟

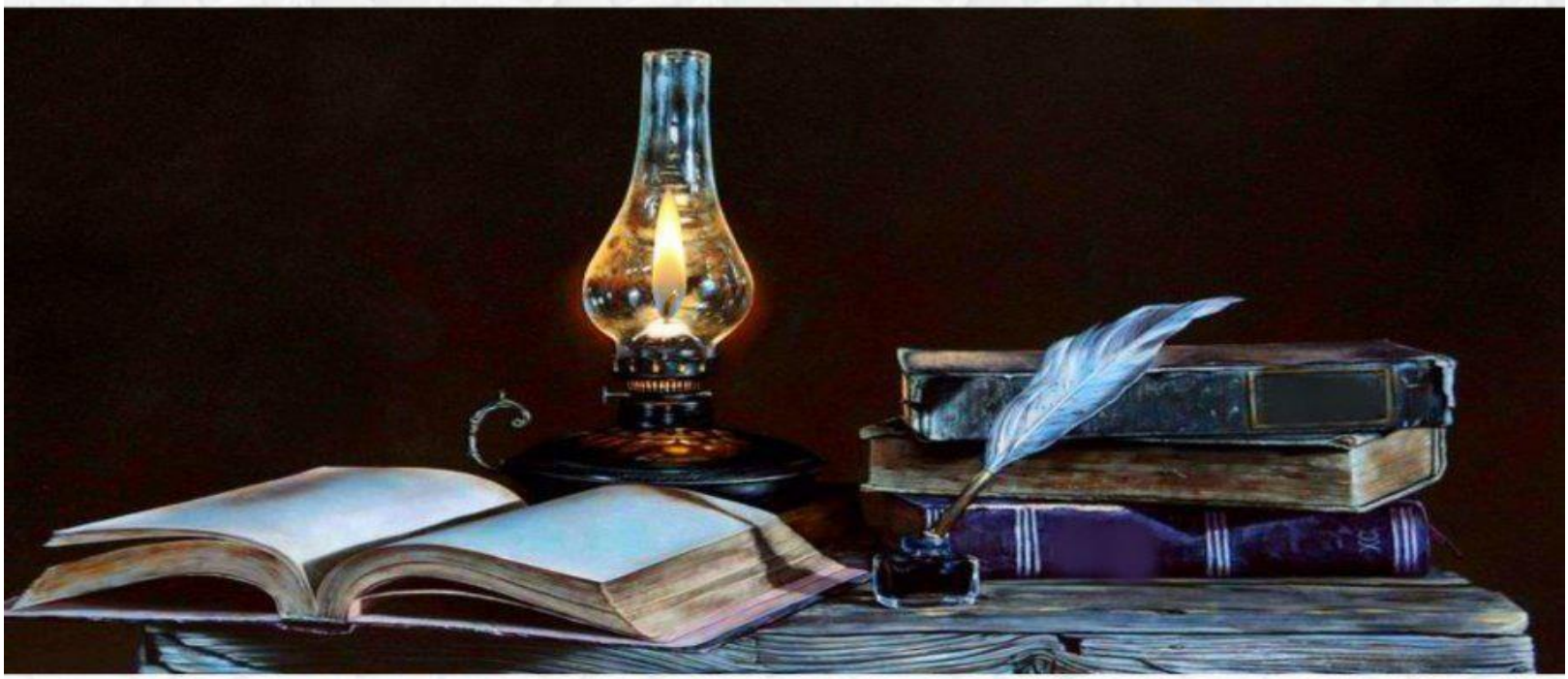

فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان بن سليم الله الرحيلي

تفريغ: مجموعة الأخوات التطوعية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

وهم هؤلاء، كعادة أهل الفتن، لا يعرفون لأهل الفضل فضلًا، ما عرفوا لصحابة رسول الله ﷺ أيَّ فضل؛ بل إنهم من شرهم جعلوا إمامًا منهم في مسجد رسول الله ﷺ، والصحابة موجودون!

المذيع: أنا أظن نفس الأمور تنطبق هذه على هذا التأليب على الحكام والطعن في العلماء؛ لكن ليست من جهة التكفير، الآن في موجة أخرى اللي هو الحريات، وأن هذه مجتمعات مغلقة متخلفة ما تقل خطورة عنه.

الشيخ: وأقول لك شيء حدث معي: شاب دون الثلاثين أناقشه -كان قبل الحج-، فيقول لي: أرأيت هؤلاء الحجاج؟ يبلغون مليونين ما فيهم واحد عرف الله.

المذيع: السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حيَّاكم الله في بودكاست رفوف.

الأحداث التاريخية لها بصـــمة في تاريخنا ومنها أحداث كبيرة جدًّا نأخذ منها دروس وعبر، ومن هذه الأحداث المحزنة -لكن فيها دروس كثيرة جدًّا- مقتل عثمان ﷺ، مقتل ذي النورين الخليفة الراشد.

اليوم بإذن الله نســـلط الضـــوء على بعض الأحداث المهمة التي حدثت في مقتل عثمان ﷺ، والدروس والعبر المستفادة، مع ضيف مميز اليوم: **فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور**: سليمان الرحيلي المدرس بالمسجد النبوي، حيَّاك الله فضيلة الشيخ.

الشيخ: يا مرحبًا، أهلًا وسهلًا، مرحبًا بالجميع، بارك الله فيكم.

المذيع: الله يحييك ويبقيك شـيخنا. شـيخ، عثمان ﷺ من يقرأ في سـيرته يجد سـيرة عطرة جدًّا وخلق عظيم وحياء عظيم، كيف وصل به الحال إلى أنه يُقتل ﷺ وأرضاه؟

الشيخ: أحسـنتم، الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فالأمر كما ذكرتم -حفظكم الله-، التاريخ مدرسة للعقلاء، ومن لم يعرف التاريخ، ومن لم يدرس التاريخ، ومن لم يقف مع مواقف التاريخ؛ لن يُحســـن التعامل مع الحاضـــر، ولن يُحســـن التخطيط للمستقبل.

العاقل يتعظ ويعتبر بأخبار الأمم الماضـــية، فأولوا الأبصـــار ينبغي أن يعتبروا بما مضـــى من الأحداث، ومن أحداث أمتنا المؤلمة والتي فيها دروس كبيرة عظيمة هذا الحدث الجلل: "**مقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه**".

عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه كان قبل الإسلام محبوبًا من قومه، كان مشهورًا بالحياء، مشهورًا بالكرم، كان الناس يحبونه، زوجه النبي ﷺ بنته، أسلم على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، واشتد أذى قريش له ولأصحابه من المسلمين فهاجر مع زوجه رقية إلى الحبشة، وهناك جاءت شائعة أن قريشًا قد أحسنت للمسلمين ونحو ذلك، فرجع المسلمون المهاجرون، ومنهم عثمان وزوجه رقية رضي الله عنها.

واستمرت قريش في الأذى، واستمر أولئك الأبرار في الصبر، صبروا، وثبتوا، وبقوا ثابتين على دينهم حتى أذِن الله ﷻ بالهجرة إلى المدينة، فهاجر عثمان رضي الله عنه مع زوجه رقية إلى المدينة، فكان من أهل الهجرتين:

- من أهل الهجرة إلى الحبشة.
- ومن أهل الهجرة إلى مدينة رسول الله ﷺ.

كان رضي الله عنه وأرضاه شديد الحب للجنة، كان لا يسمع بأمر تُشترى به الجنة إلا بادر إليه:

١. لما عرض النبي ﷺ على المؤمنين شراء بئر رومة على أن يجعل الشاري دلوه مع دِلاء المسلمين بخير له منهم من الجنة: **اشتراها عثمان رضي الله عنه**.
٢. لما عرض النبي ﷺ توسعة المسجد بشراء أرض بخير منها في الجنة: **بادر عثمان رضي الله عنه فاشتراها**.
٣. لما قال النبي ﷺ من جهَّز جيش العسرة فله الجنة: **بادر عثمان رضي الله عنه فجهز جيش العسرة**؛ حتى قال النبي ﷺ مقولة عظيمة قال: ((**مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، مَا ضَرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ!**))[1].

---

(١) رواه الترمذي، برقم: (٣٧٠١).

مقولة قالها النبي ﷺ ما حدَّ لها حدًّا، ولا حد لها منتهى: ((**مَا ضَـــرَّ عُثْمَانُ مَا فَعَلَ بَعْدَ الْيَوْمِ!**)).

رضي الله عنه وأرضاه كان شديد الحياء؛ حتى أن الملائكة كانت تستحي منه، بل إن النبي ﷺ كان يستحي منه أشد من حيائه من بقية الصحابة، في يوم من الأيام كان نبينا ﷺ مضطجعًا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها، وقد كشف عن ساقيه أو عن ركبتيه، فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه، فأذِن له النبي ﷺ وهو على حاله، وجلسا يتحدثان، فجاء عمر رضي الله عنه فاستأذن فأذن له النبي ﷺ وهو على حاله، فجاء عثمان رضي الله عنه فاستأذن فاستوى رسول الله ﷺ جالسًا، وسوَّى ثيابه، وأخذوا يتحدثون.

لما خرج القوم، قالت أمنا عائشة رضي الله عنها لرسولنا ﷺ: دخل أبو بكر فلم تهشَّ له ولم تأبه، ودخل عمر فلم تهشَّ له ولم تبالِ، ودخل عثمان ففعلت كذا وكذا، فقال: ((**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**))[1] الله أكبر! موقف عظيم، النبي ﷺ يستحي منه، النبي ﷺ يسوِّي ثيابه حياءً منه رضي الله عنه وأرضاه.

ما أعظم هذا الرجل! ما أكرم مقام هذا الرجل! هو صـــاحب فضـــل عظيم، وعندما مات النبي ﷺ -وقد زوجه بابنتيه-، لما مات ﷺ تولى الصحابة رضوان الله عليهم أعباء الحكم والعلم؛ فنشروا العلم وأقاموا الحكم؛ فأقاموا العدل وأقاموا الخير؛ ودخل الناس في دين الله أفواجًا؛ بل إن حتى غير المسلمين كانوا يرغبون في البقاء تحت لواء المسلمين لما يرون من عدل، وإنصاف، وحسن معاملة.

تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم تولى عمر رضي الله عنه، ثم تولى عثمان رضي الله عنه فتوسعت رقعة الإسلام، ودخل في الإسلام أقوام، ولكن للأسف نتج من هذا أن ابتعدت أطراف من أطراف المسلمين: عن معقل العلم، عن معقل الخير، عن معقل الهدى، عن معقل صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (٢٤٠١).

والقاعدة: (أن العلم شجرة كل خير، وأن الجهل شجرة كل شر)، لا يروج الشر إلا إذا وجد الجهل.

المذيع: شيخ انتقال الحكم من عمر ﷺ إلى عثمان كيف كانت الطريقة؟

الشيخ: ولا شك أن عمر ﷺ قد جعل الأمر شورى وحدَّه في ستة، ثم آل الأمر إلى أن يكون بين اثنين: بين عثمان ﷺ وبين عليٍّ ﷺ، ثم بالتراضي بينهما وبأخذ العهد بينهما تَمَّ اختيار عثمان ﷺ.

ولا شك أن أهل السنة والجماعة: مجمِعون على أن الصحابة من حيث الخلافة هم على هذا الترتيب:

- **أبو بكر.**
- **ثم عمر.**
- **ثم عثمان.**
- **ثم علي، رضي الله عنهم أجمعين.** لم يختلفوا في هذا الأمر.

وإنما وقع خلاف بين المتقدمين من السلف في التفضيل، اتفقوا على أن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ أربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٌّ، رضي الله عنهم أجمعين، هذا باتفاق أهل السنة والجماعة. ثم اتفقوا على أن أفضل الأمة أبو بكر ﷺ، وأن الثاني عمر ﷺ.

ثم وقع اختلاف يسير بين المتقدمين أيهما يقدَّم في الفضل -بعد الاتفاق على التقديم في الخلافة- هل هو عثمان أو علي رضي الله عنهم أجمعين؟

ثم اتفق أهل السنة والجماعة على التفضيل على حسب ترتيب الخلافة: فعثمان ﷺ، ثم علي ﷺ. مع التأكيد على الأمر أن أهل السنة والجماعة متفقون على أن أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ هم هؤلاء الأربعة رضي الله عنهم وأرضاهم، وأن حبهم إيمان، وأن المؤمن يجب أن يعتقد فضلهم، ويجب أن يعتقد ما جاء في الخير الذي وُصفوا به. هذا لا يختَلف فيه، وهذا واجب على كل مسلم يحب الله ﷻ، ويحب رسول الله ﷺ أن يعتقد هذه العقيدة العظيمة.

إذن نقول: بارك الله فيك -استطرادًا في سؤالك- كيف آل الأمر إلى أن يقتل عثمان ﷺ؟

عثمان ﷺ في خلافته -وقد توسعت الأطراف-، اندس بعض الناس، وتظاهروا بالإسلام كعبد الله بن سبأ اليهودي، وذهبوا إلى الأطراف البعيدة عن الصحابة، إلى أماكن ليس فيها أحد من الصحابة، وأخذوا ينشرون فكرهم الخارجي في تلك الأطراف، ماذا فعلوا؟ كما قال زعيمهم عبد الله بن سبأ: (أظهِروا الطعن في أمرائكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس)، وهذه القاعدة التي تتوارث إلى اليوم.

المذيع: الطعن في الأمراء؟

الشيخ: إذا أردت أن تكسب الناس فتكلم في الحكام.

المذيع: سبحان الله!

الشيخ: إذا أردت أن تكسب الناس فأظهر الغيرة على الدين، إذا أردت أن تكسب الناس فاجعل فكرك مُغلفًا بأنك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ لأن الناس في العموم أتباع عواطف؛ ولأن الحكام في العموم لا يرضون كل الناس؛ لأن الحاكم مطلوب منه شرعًا أن يعمل بالأصلح، وأن يوازن بين المصالح، وأن يجنب الدولة المفاسد.

عموم الناس ينظرون إلى خبزهم، وينظرون إلى شـــربهم، وينظرون إلى أمور لا يقدِّرون قدر غيرها، ولا يعرفون ما وراءها، وإذا كان قيل: (إن القاضـي نصـف الناس له أعداء)؛ لأنه لا بد أن يقضـي على هذا، ومن قضي عليه ما يرضى، فالحاكم كثير من العوام لا يرضون عنه لا لسوئه، وإنما لعدم إدراكهم لما ينبغي على الحاكم، ولا زال الناس يرون -لعدم العلم بالأصـول الشـرعية- أن الطعن في الحاكم شجاعة، وأن الذي يثني على الحاكم، أو يأمر بالسمع والطاعة له في غير معصية الله يقولون: من شـيوخ السـلاطين، من شـيوخ الحكام، سـبحان الله! يعني: أنت يا أخي، عندما تسـب الذين يأمرون بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله أنت تسب رسول الله ﷺ في الحقيقة -ولعل هذا يأتي إن شاء الله-، الشاهد: أنه بدأ بهذه القاعدة، فبدأوا ينشرون بين الناس -من ناحية الخليفة عثمان رضي الله عنه- **بدأوا ينشرون أمرين:**

الأمر الأول: أشـياء صـادقة موجودة في عثمان رضي الله عنه، لكنها ليسـت عيبًا، وليسـت أمرًا قبيحًا، لكنهم صـوروها للعامة بأنها أمور قبيحة، فقالوا: إن عثمان لم يشـهد بدرًا، تخلف عن بدر، تخلف عن رسـول الله ﷺ، ما شـهد بدرًا، وأن عثمان رضي الله عنه فرَّ يوم أُحُد، وأن عثمان رضي الله عنه ما شـهد بيعة الرضوان.

وهذه حقيقة، وأظهروها بهذه الطريقة، وأغفلوا أن عثمان رضي الله عنه تخلف عن بدر بأمر رسول الله ﷺ لِيُمرِّض بنت رسول الله ﷺ، وأن النبي ﷺ أشركه في الغنيمة والأجر، ما يذكرون هذا، يذكرون أنه ما شهد بدرًا.

وأغفلوا أنه في أُحُد اختلطت الأمور على الناس، وقد قيل: إن النبي ﷺ قُتل فارتُجَّ على الناس وكما يقولون بالعامية: ضـاعت العقول؛ يعني: اضـطربت! اضـطرب الناس، ففرَّ من فرَّ حفاظًا على دينه والله عفا عنهم.

وأما بيعة الرضوان فخير من شهد بيعة الرضوان عثمان ﷺ-أعني: من جهة الحضور- كيف هذا؟ النبي ﷺ اختاره ليكون رسوله إلى أهل مكة، فذهب إلى أهل مكة وحصلت البيعة، فعثمان ﷺ ما حضر لكونه رسولَ رسولِ الله ﷺ، قد انتخبه رسول الله ﷺ، قد ارتضاه رسول الله ﷺ.

المذيع: هذه منقبة!

الشيخ: منقبة، ثم ماذا؟ قد بايع لعثمانَ النبيُّ ﷺ بيده الشريفة، فوضع يده على يده، وقال: ((هذه عن عثمان))، فبايع عثمان ﷺ هذه البيعة العظيمة، وكان ممن حضر ببيعة رسول الله ﷺ، لكن ما يذكرون هذا، يذكرون أنه ما حضر بيعة الرضوان.

والأمر الثاني: أنهم أحدثوا أشياء يكذبون فيها على عثمان تتعلق بالأموال، وهم يعرفون أنك إذا أردت أن تهيج قلوب الناس فتكلم في الأموال، وأحدثوا أكاذيب ونشروها بين الناس، فقام أناس وتوجهوا إلى المدينة يريدون عثمان ﷺ، ولكنهم أناس طيبون، فلقوا عثمان ﷺ فبيَّن لهم الحق، ورد شبههم وصالحهم، فرجعوا إلى مصر.

ماذا يفعل هؤلاء الذين فشلت خطتهم الأولى؟

أحدثوا خطةً جديدة: استأجروا رجلًا وقالوا له: اركب بعيرك، وتقدم أمام القوم، وأظهِر كأنك تريد الهروب منهم، وأنك خائف منهم، وأنك كأن معك شيء؛ فصار يمشي أمامهم ويظهر أنه سيذهب هنا، وأنه يريد أن يختبئ، وهو يظهر لهم: يتراءى لهم؛ فارتابوا به، فأدركوه وأخذوه، قالوا له: ماذا عندك أمرك مريب؟ فتمنى، ثم قال: أنا رسول أمير المؤمنين عثمان إلى عامله في مصر ومعي كتاب، هذا الكتاب، وإذا به من عثمان إلى عامله في مصر: إذا أتاك القوم كذا وكذا قطِّع أيديهم، وأرجلهم، وصلبهم من خلاف، وافعل، وافعل، وافعل!

المذيع: الله المستعان، وهذا كذب!

الشيخ: كذب! ما فعله عثمان ﷺ وحاشاه أن يفعل، لكن حتى يُفسدوا هذا الصلح الذي حصل، فرجع هؤلاء القوم إلى قومهم، وقد امتلأت قلوبهم غيظًا، وحنقًا على عثمان ﷺ.

فاجتمعت حشودٌ تؤججها العواطف، وتجمعها الإشاعات والأكاذيب، ويؤزها هؤلاء الخوارج فساروا إلى مدينة رسول الله ﷺ، وفيها صحابة رسول الله ﷺ لتقع فتنة أخبر عنها النبي ﷺ قبل وقوعها، النبي ﷺ قال لأصحابه: ((**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي فِتْنَةً وَاخْتِلافًا**))[1]، قال الراوي أو قال: ((**اخْتِلافًا وَفِتْنَةً**))، فقال له أناسٌ: فَمَنْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ إذا وقع هذا الاختلاف والفتنة من لنا يا رسول الله؟ قال: ((**عَلَيْكُمْ بِالْأَمِينِ وَأَصْحَابِهِ**))، وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُثْمَانَ بِذَلِكَ وَأَصْحَابِهِ، والحديث عند الترمذي وصححه الألباني. يشير إلى عثمان ﷺ، أو هذا ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة. والنبي ﷺ خبَّر عثمان ﷺ.

المذيع: عن الفتنة؟

الشيخ: نعم، أنه سيقمصُ قميصًا، قال: ((**فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ**))[2].

المذيع: القميص الذي هي الإمارة؟

الشيخ: القميص الذي هي الخلافة؛ ولذلك قال: ((**فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ**))، وهذا الذي عند الترمذي، وصححه الألباني. والنبي ﷺ أخبر أن عثمان ﷺ شهيد، هذه ثلاثة أمور، فلما جاء هؤلاء القوم.

---

(١) رواه أحمد في مسنده، برقم: (٨٥٤١)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم: (٣١٨٨).

(٢) رواه الترمذي، برقم: (٣٧٠٥)، وصححه الألباني في المشكاة، برقم: (٦٠٦٨).

المذيع: شيخ متى صار هذا؛ يعني: في أي سنة من خلافته؟

الشيخ: هذا والله ما أتذكر الآن التاريخ؛ لكن هذا طبعًا في السنة التي قُتل فيها.

المذيع: بعد مدة طويلة تقريبًا من خلافته؟

الشيخ: لا؛ هو طبعًا كان في أواخر خلافته.

المذيع: بداية خلافته ما كان فيه شيء؟

الشيخ: لا؛ ما كان فيه شيء، بل توسعت الفتوحات الإسلامية، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، لكن هذه عندما اندس المندسون، وجاء هؤلاء الخوارج معهم وبدأوا يمكرون هذا المكر، لما جاء هؤلاء إلى المدينة وفيها صحابة رسول الله ﷺ وهم شجعان، لكن عثمان رضي الله عنه منعهم من القتال.

المذيع: هم جاءوا يقاتلون؟

الشيخ: هم أرادوا عثمان يريدون قتل عثمان، وهذا هدفهم المعلن.

المذيع: أعلنوا هذا من قتل عثمان.

الشيخ: نعم، وحصروا عثمان رضي الله عنه في بيته رضي الله عنه وأرضاه، ومنع الصحابة رضوان الله عليهم من قتالهم، وهم هؤلاء -كعادة أهل الفتن- لا يعرفون لأهل الفضل فضلهم.

ما عرفوا لصحابة رسول الله ﷺ أي فضل، بل إنهم من شرهم جعلوا إمامًا منهم في مسجد رسول الله ﷺ، والصحابة موجودون، سبحان الله! يستشار عثمان رضي الله عنه في أن تترك الصلاة خلفه -خلف هذا الرجل-، فيقول: لا، إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فصلِّ معهم ولا تُسئ بإساءتهم.

وصلى الصحابة رضوان الله عليهم في مسجد رسول الله ﷺ خلف هذا الرجل، ما تركوا الصلاة، ولا تركوا الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، ولا عثمان ﷺ هيج الناس على ترك الصلاة خلفهم؛ لأن هؤلاء –أعني: الصحابة رضوان الله عليهم، وعثمان ﷺ تربية رسول الله ﷺ، يريدون الخير، يريدون الدين، يريدون المصلحة للمسلمين.

ثم لما اشتد الحصار، وظهر أنهم يريدون قتل عثمان ﷺ، جاء شُجعان الصحابة إلى عثمان ﷺ، وقالوا: إنا نقاتل دونك وقد أحلَّ الله لك قتالهم، فقال: إني لا أريد أن أكون أول من سنَّ سفك الدماء في أمة محمد ﷺ، فأبى رضي الله عنه وأرضاه، فأرادوه أن يترك الخلافة –أن يتنازل عن الخلافة–، فأبى ﷺ، واستشار ابن عمر ﷺ في ذلك، فقال له ابن عمر ﷺ: ألست على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى، قال: وماذا يفعلون أكثر من قتلك؟ قال: لا شيء، قال: هل يملكون لك جنة أو نار؟ قال :لا، قال: فلا تطعهم حتى لا تكون سنة، كلما كره قوم حاكمهم أو أميرهم خلعوه.

فصبر ﷺ حتى لا تصبح هذه سنة، وكل ما جاء قوم ولم يرضوا عن الحاكم طلبوه أن يتنازل أو خلعوه، وهذا الذي اتفق عليه صحابة رسول الله ﷺ في زمن عثمان ﷺ.

ثم في الليلة التي سبقت مقتله رضي الله عنه وأرضاه رأى رؤيا: رأى النبي ﷺ يقول له: ((**أَفْطِرْ عِنْدَنَا الْيَوْمَ يَا عُثْمَانُ**)) فأصبح صائمًا ﷺ، صام وشد عليه سراويله حتى لا تنكشف عورته إذا قتلوه رضي الله عنه وأرضاه فلما أصبح –وكان كثير القراءة للقرآن– فتح مصحفه، وأخذ يقرأ، فتسور القوم بيته، فدخل عليه أحدهم، فقال له: لا تقتلني فإني أخٌ في الله ووالٍ؛ فرجع، فدخل عليه الثاني، فقال له: لا تقتلني فإني أخٌ في الله ووالٍ؛ فخنقه خنقًا شديدًا، ووجد بردًا في خنقه رضي الله عنه وأرضاه، ثم تناول السيف فقطع يمينه رضي الله عنه وأرضاه، فقال: والله إنها أول يد كتبت المفصل.

المذيع: الذي هو القرآن.

الشيخ: نعم، يد عثمان ﷺ التي قطعت، ثم ضربه فقطع رأسه فسقط دمه على قول الله ﷻ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

المذيع: الله أكبر!

الشيخ: ثم دخل آخر، فوجد رأس عثمان ﷺ قد سقط فركله برجله، وقال: ما رأيت وجه كافر أشد إضاءة من هذا الوجه.

المذيع: أعوذ بالله.

الشيخ: أعوذ بالله من سوء الحال! وزوج عثمان ﷺ: نائلة ﷺ أرادت منعهم، فأمسكت السيف فقطعوا يدها، وقالت: إن تقتلوه فوالله إنه قام الليل بالقرآن، أو قام بالقرآن في ركعة رضي الله عنه وأرضاه، فآل الأمر إلى قتله شهيدًا رضي الله عنه وأرضاه.

فهذا مجمل قصة مقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه. ولا شك –مثل ما تفضلتم– أن فيها دروسًا وعبرًا كثيرة.

المذيع: شيخ، هو عدم مقاتلته للخوارج امتثالًا لأمر النبي عليه الصلاة والسلام؟ ما الحكمة كانت من عدم قتاله؟

الشيخ: نعم، **هو لم يقاتل هؤلاء الخوارج لحكم منها:**

١) أن يصون دماء المسلمين؛ خاف على صحابة رسول الله ﷺ؛ لأن هؤلاء القوم كانوا غوغاء، ولو بودوا للقتال لترتب على ذلك مفسدة عظيمة جدًّا، هذا من وجه.

٢) ومن وجه آخر: لم يُرد عثمان ﷺ أن يُعطي الخوارج حجة في قتال المسلمين، وأنهم قاتلونا فقاتلناهم، ولتصبح هذه حجة للخوارج على مر السنين.

٣) أيضًا عثمان رضي الله عنه علم -وهو الذكي الفطن- من إخبار رسول الله ﷺ أن هذا واقع، وأنه سيقتل، وأنه شهيد فلذلك لم يقاتلهم؛ لأنه درس أو نظر في المآل، وكما يقول ابن القيم وغيره: «فقه المآل هو فقه الخاصة».

لا شك أن الصحابة يدركون أن قتال الخوارج من خير القتال، وأن الوقوف في وجه الخوارج هذا جهاد شريف، وهم شر قتلى على وجه الأرض، ومن قتلوه فله الجنة، لكنهم بأمر عثمان -لأن النبي ﷺ قال: ((عليكُم بالأمينِ وأصحابِه))- امتثلوا ما يقوله عثمان ﷺ، عثمان ﷺ نظر إلى هذه الحكم، وهذا فقه صحابة رضوان الله عليهم، القتال ليس مطلوبًا في ذاته إذا لم تترتب عليه المصلحة ودرء المفسدة، أو تترتب عليه مفاسد أعظم من تركه فإنه يترك.

ولهذا عثمان ﷺ ترك هذا الأمر لهذه الحكم العظيمة، وهذا أصل في الجهاد كله، في القتال كله؛ ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يذكر: (أن كل قتال مفسدته أعظم من مصلحته فهو قتال فتنة)، كل قتال، إذا كان قد عُلم بالمقدمات أن مفسدته أعظم من مصلحته فهو قتال غير مشروع، هو قتال فتنة؛ لأن الشريعة بما فيها الجهاد قامت على جلب المصالح ودرء المفاسد؛ فالمقصود هو جلب المصالح ودرء المفاسد.

فإذا كانت المصلحة لا تُجلب أو كانت المصلحة التي تجلب ضعيفة، والمفسدة التي تترتب على الفعل أعظم من مفسدة الترك فإنه يترك، وهذه الصورة التي نحن نتكلم عنها من صور هذا الأمر العظيم، وهذا الأصل العظيم عند فقهاء الإسلام، وعند صحابة رسول الله ﷺ.

المذيع: أظن أن مقتل عثمان ﷺ كان حدث فاصل في تاريخ الأمة الإسلامية، ما المفاسد التي أتت بعد مقتل عثمان ﷺ؟

الشيخ: لا شك أن مقتل عثمان ﷺ كان كسرًا لباب الفتن على أمة محمد ﷺ؛ وترتب على ذلك جرأة الخوارج على الأمة، فعندما ولي علي ﷺ حصل ما حصل من الخوارج في قتال علي ﷺ وقتال الصحابة رضوان الله عليهم، وكان علي ﷺ معه قوة، ومعه يعني: جيش، فقاتلوا الخوارج.

والخوارج بحمد الله ﷻ كما أخبر النبي ﷺ لن تقوم لهم راية، كلما ظهر منهم قرن قطع، ولكنهم سيبقون بلاءً في هذه الأمة حتى يخرج في أعراضهم الدجال، ولكن بحمد الله لن تقوم لهم راية، وهم دائمًا ولله الحمد والمنة يؤول أمرهم إلى ذلة، فهذه المفسدة العظيمة التي ترتبت على مقتل عثمان ﷺ.

وإن كان بحمد الله تولى علي ﷺ ومعه صحابة رسول الله ﷺ، لكن هذا الباب انفتح على أمة محمد ﷺ، ولا شك أن هذا أضعف الدولة، وأضعف جهاد المسلمين الجهاد الشرعي الذي فيه الخير، وفيه المصلحة، وفيه درء الفساد، كما هو معلوم من حِكم الجهاد في ديننا.

أنا أقول -وقلت هذا حتى في بعض محاضراتي في أوروبا-: إنه لو عرف الناس معنى الجهاد الشرعي لأدركوا أن جميع العقلاء يقرّون بقضية الجهاد، هذا الأمر لا شك فيه، لكن على كل حال أقول: إن أمر الجهاد ضعف بسبب هذا الأمر، وضعفت الدولة بسبب هذه الفتنة العظيمة، نعوذ بالله من شر الفتن.

المذيع: شيخنا، لو نبغى نلخص الأسباب اللي أدت لمقتل عثمان، أنت ذكرت في البداية أنه في ناس اندسوا، وذكرت نقطة مهمة أنهم ابتعدوا عن معقل العلماء والعلم.

الشيخ: نعم، بارك الله فيك. **الأسباب:**

- **أولًا**: أيدي خارجية.

- منهم من تظاهر بالإسلام ليندس بين المسلمين، لينشر فكرهم.

- ومنها وجود الفكر الخارجي عند بعض المسلمين الذين لم يتربوا على يد صحابة رسول الله ﷺ، فهم بعيدون عن صحابة رسول الله ﷺ حسًّا ومعنًى:

- **بعيدون حِسًّا**: حيث أنهم في الأطراف البعيدة.

- **ومعنًى**: حيث أنهم لم يأخذوا بما عند صحابة رسول الله ﷺ من العلم والحكمة والبصيرة والعمل، ما أخذوا بهذا، هؤلاء القوم ما عندهم هذه الثلاثة، عندهم عاطفة؛ أعني: الغوغاء الذين خرجوا مع هؤلاء القوم.

- **الأمر الرابع**: عدم تنزيل أهل الفضل منزلتهم، ولذلك هم حتى عندما جاءوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لم يرجعوا إلى صحابة رسول الله ﷺ.

هناك أمر مهم جدًّا نأخذه من هذا الأمر، وهو أن الناس لا يزالوا بخير ما دام عندهم:

- حاكم يُسمع له ويطاع في غير معصية الله.

- وعالم يسمع لكلامه في دين الله.

- وكبارٌ في السن قد علمتهم التجارب.

إذا كان هؤلاء الثلاثة موجودين الخير موجود بإذن الله؛ ولذلك أهل الشر وأهل الفكر المنحرف عبر الأزمان يركزون على هذه الثلاثة، على هدمها: فأول: يطعنون في الحكام ويكذبون عليهم، ويُكبِّرون الصغير، ويُزوِّرون الحقائق.

واليوم في زماننا هذا يستخدمون هذه التقنيات الموجودة، وتجدهم ينشرون مقطعًا يقولون هذا المقطع فيه كذا، وإذا حققت وجدت أنه قبل ثمان سنوات في دولة بعيدة، وهذا كذا، وهذا كذا، وهذا كذا، طعن في الحكام ليسقط هذا.

والأمر الثاني: الطعن في العلماء حتى تذهب هيبة العلماء، وإذا ذهبت هيبة العلماء، وهيبة الحكام انفتح باب الشر، وانهمل السيل من الشرور والفتن.

والأمر الثالث: إسقاط الثقة في كبار السن: هؤلاء ما يفهمون، هؤلاء دينهم (دون) حكامهم، هؤلاء أهل منكرات، هؤلاء كذا، حتى يصبح الشاب ما يحترم أباه ولا يحترم أمه، يغتر بنفسه ويغتر بمن معه، يعيش معهم في الاستراحات، ويعيش معهم في الأماكن البعيدة، يأتي إلى بيت أهله إذا دخل وسلم فهذا من الأخيار، ثم يذهب إلى غرفته، يخلو بحاسوبه، ويخلو بمن يتواصل معهم، ثم إلى الاستراحات، يكره أهله ثم يكره مجتمعه.

ولذلك من مناهجهم أنهم يركِّزون على المنكرات الموجودة في البلد، ويُغفِلون ما في البلد من خير، المنكرات: منكرات الأسواق، منكرات ما أدري ماذا؟ منكرات كذا، منكرات كذا حتى إن الشباب الذين فيهم خير عندما يسمعون هذا الكلام يظنون أن هذا المجتمع مجتمع جاهلي فيحصل هذا الأمر.

وهي القاعدة دائمًا هكذا: «تنفير، ثم تكفير، ثم تدمير»، يُنَفِّرون من الحكام، العلماء والمجتمع، حتى يصبح الشباب حيارى، ويبحثون عن مجتمع بديل، فينتزعونهم أولًا وجدانيًّا يقولون هذا الحاكم ما له بيعة عندكم، أنت بيعتك مع المرشد، أنت بيعتك مع الخليفة الغائب فيقتطعونهم من بلدانهم وولاياتهم الشرعية إلى ولايات وهمية أو باطلة، ثم يوقعون في نفوسهم أن واجبهم أن يزيلوا هذا المجتمع، أن يزيلوا هذا الكفر، أن يزيلوا هؤلاء الحكام، أن يزيلوا هؤلاء العلماء.

يا أخي، والله سمعنا من هذا شـيئًا عجبًا! أحد الشـباب ممن نناصـحهم نقول له: هل ذهبت للشيخ صـالح الفوزان سـألته؟ قال: أنا لو وصـلت إلى الفوزان لقلت بلحيته كذا إكرامًا له وقطعت رقبته، هذا الشحن وهذا التنفير الذي وصل إلى نفوس الشباب، وللأسف موجود ويجب أن نحذر، اليوم الفضـاء المظلم في الإنترنت -بجميع أنواع ما فيه- شـبكات لاصـطياد الشـباب إلى هذا الفكر المنحرف الذي يؤدي إلى مثل ما أدى إليه فعل أولئك في قتل عثمان ﷺ من الشـــر وفتح باب الشر.

الآن حتى الألعاب الإلكترونية يستعملونها للوصول إلى الناشئة، هذا اللعب المباشر الذي يحصل بين الشباب والشابات يستخدم حتى في نشر الفكر المنحرف وفي التكفير المجتمع، ويعرضون عليهم كلامًا وصـــورًا ونحو ذلك، يجب على الأخيار أن يكونوا حذرين، يجب علينا أن ننشـــر العلم الصـحيح، وأن نصـبر سـيؤذينا الناس؛ لأنهم أكثرهم طيبون ما يعرفون ومغرر بهم، ينبغي أن نصـبر عليهم، وأن ندعو لهم وأن نبذل الخير الذي عندنا، وأن نبذل ما نسـتطيع وندعوهم إلى الخير ونبين لهم الأصـول الشـرعية، وأن نحذَر أيضًـا من هذا الفضـاء المظلم بحيث لا يترك الشـباب لهذا الفضـاء المظلم.

لا بد من أن يكون هناك لا نقول رقابة، ولكن نقول أن يكون هناك حذر بحيث لا يتركوا لهؤلاء يصطادونهم ويغررون بهم، حتى أن بعضهم يقول لأمه: إن الذي يلاعبني، يقول لي: أقتل أمك، أمك كافرة، وهذا والعياذ بالله خطير جدًّا! يعني إذا وصـــل الأمر إلى أن يكرهك دينًا ما الذي يمنعه من أذيتك؟ كل كره يمكن أن يســـيطر عليه بالدين، ممكن أن يُقَوَّم هذا الكره بالدين، لكن إذا كرهك دينًا كيف تسيطر عليه؟ ما فيه إلا الاندفاع وراء الشر والفتنة.

فلا بد من أن ندرك هذه القضية: (**حربنا فكرية ووسيلتنا علمية**)، يجب أن نتخذ هذه الوسيلة، يجب أن نعلم الناس، يجب أن ننشر الحق، وألا نستحي منه، وألا نخاف منه، وألا نفكر في أنفسنا،

لو كان الإنسان يفكر في نفسه يقول أنا ماذا يدخلني في هذه الدروب؟ لكن الإنسان يفكر في الناس، يفكر في الأمة، يفكر في الخير كيف يوصل هذا الخير إلى الناس.

المذيع: طيب يا شيخ، أنا أظن أن نفس الأمور تنطبق هذه على التأليب على الحكام والطعن في العلماء، لكن ليس من جهة التكفير، الآن فيه موجة أخرى التي هي الحريات، وأن هذه مجتمعات مغلقة متخلفة ما تقل خطورة عنه.

الشيخ: طبعًا -كما قلنا سابقًا- الحكام يحكمون الناس جميعًا الذين تحت ولايتهم، وهناك عدة اتجاهات، ولا بد من أن يُنتَبه لجميع الاتجاهات بحيث تكون سائرةً في المصلحة الشرعية التي هي مصلحة البلاد، وخير البلاد، واجتماع أهل البلاد، وألفة أهل البلاد.

الأمر عندنا جانبان:

١. **جانب الشبهة:** الذي يتخذ الدين طريقًا ويزعم أن هذا من الدين، وأن الدين يقتضي ذلك، وهذا يتجه إلى جهة الناس الذين يحبون الدين، ويتدينون ونحو ذلك.
٢. **وجانب آخر يتخذ جانب الشهوة المنفلتة:** بحيث أنه يخاطب بعض الغرائز ويصف -مثل ما تفضلت- يصف البلاد، ويصف الحاكم ويصف الحكومة بأنها منغلقة وأنه كذا، وأنه كذا، وأن الناس صاروا في كذا، وهؤلاء لهم اتجاهات متعددة، وهؤلاء أيضًا يجب التنبه لهم.

والقضية -كما قلت- هي قضية فكرية سواء في هذا الجانب أو في هذا الجانب، والوسيلة وسيلة علمية يجب أن نقابل كل هذا بعلم وبصيرة وحكمة ورويَّة، وأن ننشر الخير والخير كله في الوسطية.

الوسط الصحيح: الذي جاء في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ وطبقه صحابة رسول الله ﷺ، الذي صلحت به الدنيا والتي تصلح به البلاد ويصلح به.

وأنا أقول يا أخوة: من أعظم نعم الله ﷻ على الناس أن يرزقهم اجتماعًا في دين وألفة وأمن، فإذا حصل هذا فيجب علينا أن نعَضَّ عليه بالنواجذ، وأن نحافظ عليه، وأن ننتبه ممن يريد هدمه.

ومن يريدون هدمه –كما تفضلتم– في أحد الطرفين:

١. إما طرف منفلت يظن الوسطية انفلاتًا، وبعدًا عن الدين، وبعدًا عن العوائد الطيبة والأمور الطيبة.

٢. وإما طرف يظن أن الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقتضي هدم هذا الخير الموجود.

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (العاقل لا يهدم مِصرًا ليبني قصرًا)؛ يعني: ما يأتي إلى مِصر يقول: هذا والله فيه أشياء ما هي طيبة، فأنا سأهدم المصر وأبني قصرًا يعجبني، العاقل ما يفعل ذلك، لكن العاقل يسعى في خير هذا المصر بما يحقق المصلحة، وهذا ولله الحمد والمنة ما نجده في بلداننا، ونسأل الله ﷻ أن يثبتنا على الخير، وأن يثبت الخير علينا وأن يكفينا شر كل من يريد شرًّا ببلداننا سواء في جانب المنفلتين المبتعدين عن الدين والعوائد السليمة، أو المتزمتين المتشددين الذين يظنون أن الدين يقتضي أمرًا، والحقيقة أن الدين لا يقتضيه.

المذيع: شيخ نحن سوينا حلقة سابقة تكلمنا عن طاعة ولاة الأمر، وللأسف جاءتنا تعليقات كثيرة كلها تدور حول شبهة: إن كلامكم صحيح في الأحاديث اللي تذكرونها في السمع والطاعة، لكن هذه ما تنطبق على الحكام في زماننا، هذا ما مشوا على هدي النبي ﷺ أصلًا حتى تطبقوا عليهم الأحاديث.

الشيخ: هذه –بارك الله فيك– دعوة خطيرة جدًّا، الذي يقول هذا هو يزعم أن بعض الدين لا يصلح لهذا الزمان –ونعوذ بالله من هذه المقولة–، الدين صالح ومصلح لكل زمان ومكان، ثم إن

الدين إنما شـــرعه الحكيم العليم الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، لو كانت النصوص لا تنطبق إلا على زمن لبينه لنا ربنا ﷻ، ولكن النصوص إذا أُطلقت فإنها منطبقة على سائر الأزمان، النبي ﷺ أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم ما لم يأمر بمعصية، فجعل الحد أن يُؤمر الإنسان بمعصية، فهناك لا سمع ولا طاعة في المعصية، هل النبي ﷺ قاصر عن التعبير حتى نأتي نحن ونســتدرك عليه ﷺ، حاشــاه ﷺ، بل إن النبي ﷺ ما ترك شــيئًا يمكن أن يدخل منه الشيطان في هذا الباب إلا سده.

النبي ﷺ قال: ((**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْـلِمِ السَّـمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ**))[1] فإذا كنت في أمر تحبه فعليك الســمع والطاعة، وإذا كنت في أمر تكرهه فعليك الســمع والطاعة، عليك بالســمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، عليك بالسمع والطاعة لو كنت تحت هذه الولاية في عسر، لو كنت تحت هذه الولاية في يسر، لو كنت في أمور تنشط لها، لو كنت في أمور تكرهها، لو كنت ترى أن غير المســتحِق يأخذ حقك، النبي ﷺ قال هذا ما نحن قلناه، النبي ﷺ يقول مقولةً عظيمةً، يقول: ((**يقوم فيكم أمراء لا يستنون بسنتي، ولا يهتدون بهديي**))[2].

المذيع: الحديث واضح.

الشيخ: نعم، ((**ويقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**))، انظر الوصف! أمراء لا يهتدون بهدي النبي ﷺ ولا يستنون بسنته، فقط؟ لا، معهم رجال الجسم جسم إنسي والقلب قلب شيطان، من الواصف؟ النبي ﷺ، فيقولون: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: ((**تسمع وتطيع للأمير**)) الحديث في مسلم، ((**تسمع وتطيع للأمير**)) مع هذا الوصف العظيم النبي ﷺ يقول: ((**ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فلا ينزعن يدًا من طاعة، فليكره**

(١) رواه مسلم، برقم: (١٨٣٩).

(٢) رواه مسلم، برقم: (١٨٤٧).

ما يأتي ولا ينزعن يدًا من طاعة))[1]، فالنبي ﷺ أحكم الباب، ثم ما الذي يجعل هؤلاء الحكام لا ينطبق عليهم هذا؟

- نحن نسألهم: **هل هم كفار أو مسلمون؟**

- **إن قالوا: كفار** فنحن انتقلنا إلى مسألة أخرى، مسألة التكفير والاعتداء في التكفير هذه مسألة أخرى، نحن ما اتفقنا على الأصل حتى نناقش، سننتقل معكم إلى باب آخر.
- **وإن قالوا هم مسلمون**، قلنا: إذن ما دام أنهم مسلمون تنطبق عليهم الأحاديث.

ثم إن الإنسان إذا جاء بشيء لا بد أن يأتي بدليله، أنا أعطيتك دليل لا تُقابلني برأيك، هات لي دليل يقاوم دليلي؛ لأن شرط المعارضة: أن يقاوم الدليل دليل يساويه أو أقوى منه، فأنا ذكرت لك القرآن: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]، وذكرت لك أحاديث كثيرة أكثرها في الصحيحين ومطلقة، ولو كان الأمر يحتاج إلى قيد لقيده النبي ﷺ، ثم إن قاعدة المصالح والمفاسد، قاعدة بلا شك تقتضي أن يكون على الناس حاكم، ولا يمكن أن يكون على الناس حاكم إلا إذا وجد له سمعٌ وطاعة.

طيب تعالوا! هاتوا لنا دليلًا يساوي أدلتنا أو أقوى منها، لو جئتم بدليل أضعف من أدلتنا فأدلتنا أقوى، أدلتنا صريحة وصحيحة ونص، أما أن تأتي بعاطفة وتأتي بأوصاف من عندك تضيفها إلى حديث رسول الله ﷺ هذا ليس لك، هذا شيء عظيم ينبغي أن يُدرك ويُفهم حتى لا تصبح الأمور فوضى، ماذا يريدون من الأمه؟ أيريدون من أن نقول: أن الأمة تعيش في جاهلية؟ إذا كانت الأمة تعيش بلا بيعة شرعية فهي تعيش في جاهلية، والله الأمة ما تعيش في جاهلية، فيه أخطاء فيه معاصي، لكن الأمة ما تعيش في جاهلية.

---

(١) رواه مسلم، برقم: (١٨٥٥).

فالبيعة الشرعية قائمة والولاية الشرعية قائمة، وقد نقل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقبله شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ قال: (الأصل أن يكون للمسلمين خليفة واحد فإن تعددت فإنه يجب على كل أمير ما يجب على الحاكم الأعظم)، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ﷺ نقل إجماع العلماء على أنه إذا تعددت الأقطار فلكل حاكم ما للإمام الأكبر، الإمام الصنعاني ﷺ نقل الإجماع على هذا، شيخنا الشيخ ابن عثيمين ﷺ من أبدع من تكلم في هذه المسألة وقررها بتقريرات بديعة جميلة تبين أن حكام الأقطار اليوم لهم ما للإمام الأعظم مادام أنهم مسلمون.

فنحن نتكلم مع من في دائرتنا، من يقول إن هؤلاء الحكام مسلمون لكنهم مخطئون، تعال تقول أنت ما ساروا على سنة رسول الله ﷺ، ذكرنا نحن الحديث، ثم تعال في مسألة خلق القرآن لما حصلت الفتنة وابتلي الناس بمسألة خلق القرآن، هل أئمة السنة في ذاك الزمان أمروا بالخروج على هؤلاء الحكام، وقالوا: لا ينطبق الأمر على هؤلاء الحكام؟

الإمام أحمد الذي عذب في هذه الفتنة حتى أنه كان يجلد حتى يتقرح جلده، ثم يوضع الملح على جروحه ليشتد ألمه، كان يأمر بالسمع والطاعة للخليفة في ذلك الوقت مع ما فعل في أمر عظيم، بل إنه ثبت عنه ﷺ أنه عفا عن الخليفة، وقال كلمة عجيبة تدلك على عظم قلوب أهل السنة والجماعة، قال: **(وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم بسببك)**، وسماه أخًا وعفا عنه مع أنهم جاءوا بأمر عظيم.

المذيع: خلق القرآن.

الشيخ: نعم، والسلف مطبقون على هذا: من قال بخلق القرآن فهو كافر، ومع ذلك أقول: أهل السنة والجماعة أئمة أهل السنة الذين ابتلوا بهذا ما كفروا هؤلاء الخلفاء ولا أمروا بالخروج عليهم، بل الإمام أحمد لما أمر بأن يلزم بيته لزم بيته.

المذيع: كان يسمع ويطيع.

الشيخ: والسلف ضربوا أمثلة عظيمة في هذا الأمر، **القضية قضية تتعلق بأمرين عظيمين شريفين:**

الأول: الدين: هذا ديننا فنحن مع كتاب الله ومع سنة رسول الله ﷺ.

والأمر الثاني: مصلحة الناس؛ فمصلحة الناس لا يمكن أن تستقيم إلا بحاكم يحكم، وإلا كان الناس فوضى يأكل بعضهم بعضًا، ولا يمكن أن يستقيم أمر الحاكم إلا بالسمع والطاعة له في غير معصية الله ﷻ؛ ولذلك -كما ذكر القرطبي وغيره- أجمع العلماء على وجوب نصب الحاكم.

قال القرطبي كلمة عجيبة، قال: (إلا الأصم فإنه كان عن الشريعة أصم)، الأصم معتزلي له رأي في مسألة الولاية؛ لأنه ما يرجع للنصوص؛ ولذلك قال القرطبي: (فإنه كان عن الشريعة أصم)، فكل عاقل فضلًا عن مؤمن يدرك أنه لا بد من نصب حاكم، وأن الحاكم لا يستقيم له الأمر، ولا يستقيم به الأمر حتى تكون له السمع والطاعة في غير معصية الله ﷻ.

السمع والطاعة إلا إذا أمر بمعصية، **والأمر بمعصية يكون في أمرين:**

- **أن يأمر بترك واجب.**
- **أو فعل حرام.** ما عدا ذلك فإنه يسمع له ويطاع فيه، وهذا أمر أوضح من الشمس في ديننا -بارك الله فيك-.

المذيع: الله يسعدك يا شيخ، ندخل في موضوع ثاني في تكفير الحكام، الآن هم قد يسلمون لكل هذا اللي ذكرناه، لكن يقولون أصلًا هذا ما يدخل في دائرة الإسلام، ويأتون بالآية المعروفة:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهؤلاء بزعمهم ما يحكمون بما أنزل الله.

الشيخ: أولًا: نقول ما معنى هذه الآية؟ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، هل كل من لم يحكم بما أنزل الله كافر؟ نحن نسألهم هذا السؤال.

إن قالوا: نعم، قلنا إذن الذي خالف الشرع في مسألة لم يحكم بما أنزل الله، إذن هو كافر؟ إذن خرجتم عن دائرة أهل السنة والجماعة أصلًا، ولذلك ابن عبد البر رحمه الله لما ذكر هذه الآية قال: (هذه الآية متأولة بالإجماع)؛ يعني: لا يمكن أن يعمل بها على عمومها وإلا كان الذي يزني يكفر، والذي يأكل الربا يكفر؛ لأنه ما حكم في نفسه بما أنزل الله ﷻ، بل نأتي نحن نقول: الذي ما يقول بالسمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله يكفر؛ لأنه ما حكم بما أنزل الله، لكن نحن ما نقول بهذا، هذه الآية متأولة بالإجماع.

لا شك أن الواجب على كل مسلم أن يحكم بما أنزل الله: في نفسه، في أهله، في رعيته، لكن إذا خالف هل يكون كافرًا؟ لا شك أنه لا يمكن أن يقال بهذا العموم، ولذلك من لطيف المواقف التي حدثت للإمام الألباني رحمه الله -وقد حكاها- أنه صلى مع إمامٍ الجمعة في مسجد في الطريق قال: فكان الإمام على هيئة يخالف فيها الشرع في لباسه في هيئته، قال: فكانت الخطبة عن الحكم بغير ما أنزل الله، وتكفير الحكام، قال: لما فرغنا من الصلاة، سلمت عليه، قلت: جزاك الله خيرًا على غيرتك، وعلى كلامك في الحكم بشرع الله ﷻ، لكني تعجبت فإني لا أراك تحكم بما أنزل الله فليست هيئتك، ولا لباسك موافقة لشرع الله!

فهذه قضية مهمة جدًّا، لو جعلوا الآية عامة لحكموا على أنفسهم، ولخرجوا عن دائرة أهل السنة الكبرى إلى التكفير بارتكاب الكبيرة، لا شك أنه كفر دون كفر، ولذلك النبي ﷺ لما أخبر أنه

سيكون فينا أمراء لا يهتدون بهداه ولا يستنون بسنته، ما أمر بالخروج عليه بل أمر بالصبر إذا رأى الإنسان من أميره ما يكره، فهذا أمر مهم جدًّا.

والأمر الثاني: التكفير لا بد أولًا من أن يثبت الفعل، أو القول بالنسبة للشخص الذي يراد الحكم عليه، لا بد من أن يكون ثابتًا بيقين وإلا ما يجوز التكفير، ثم لا بد أن يثبت أن هذا القول أو الفعل كفر بالدليل، ثم لا بد من أن ينتفي العذر.

المذيع: عذر صاحب؟

الشيخ: عذر الفاعل لهذا الذي هو كفر، فإذا وُجِد هذا: وُجِد المقتضي وانتفى المانع يلتحق الحكم، ولذلك هذا الحكم -أعني: التكفير وخاصةً تكفير من يكون في تكفيره خوف ويخل بالأمن-، هذا إنما هو للعلماء الربانيين أهل البصيرة أهل الاستنباط، أما المنافقون هم الذين ينشرون هذا، المنافقون إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به وتولوا؛ لكن أهل الإيمان يردونه إلى الرسول ﷺ؛ أي: إلى سنته، وإلى أولي الأمر منهم الذين هم العلماء، ولا يتكلم كل أحد ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، فيتكلم أهل الاستنباط في هذا الأمر، أما يفتح الباب وكلٌّ يكفر: المهندس يكفر، والطبيب يكفر، والنجار يكفر، والسمكري يكفر، والميكانيكي يصلح في السيارة ويكفر.

المذيع: لا يبقى أحد على الإسلام.

الشيخ: لا يبقى أحد على الإسلام، وهذا حصل لبعضهم حتى أنه يُذكر أن أحدهم قال: لا أعلم اليوم على وجه الأرض مسلمًا إلا أنا وزوجتي ورجل في الهند، وأقول لك: شيء حدث معي شاب دون الثلاثين، أناقشه -كان قبل الحج-، فيقول لي: أرأيت هؤلاء الحجاج يبلغون مليونين ما فيهم واحد عرف الله، قلت له: يا ابني أنت تعرفهم؟ طيب ممكن بعضهم على فكرك! كيف تكفر

بهذا الإطلاق، وهذه الجرأة؟ حصل نقاش طويل وصار هذا، لكن المقصود يقول: هؤلاء الحجاج يبلغون مليونين جايين إلى بيت الله، ماذا يريدون، يريدون رحمة الله ﷻ، يقول: ما فيهم واحد عرف الله؟

واحد من الشباب يقول: أنتم لستم مرتدين -خاطبنا نحن- أنتم كفار أصليين.

المذيع: ما أسلمتم.

الشيخ: أنتم ما أسلمتم أصلًا، ما عرفتم الاسلام لِمْ؟ لأنه غرس في نفوسهم هذا الاعتداء في التكفير، ما عُلِّموا أصول أهل السنة والجماعة في التكفير، التكفير عند أهل السنة والجماعة منضبط جدًّا ليس فيه اعتداء، سُلِّط هؤلاء على الحكام، وعلى العلماء، وصاروا يستنكرون كل من يخالفهم ويسلسلون: الحاكم كافر، والجيش كافر، والقضاة كفار، ورجال الأمن كفار، ومن لم يكفر الحاكم فهو كافر.

بلاء مبين يخالف النصوص الشر، ويخالف الأصول السنية الرشيدة التي تضبط كل باب، ولذلك من البلاء العظيم أن يرى الناس على الاعتداء في التكفير، بل إن يفتح باب التكفير للناس وهم ليسوا أهله، وهؤلاء العلماء الربانيون موجودون -ولله الحمد والمنة-، ويرون الواقع، ويعرفون الواقع ما كفَّروا هؤلاء الحكام القائمين على بلاد المسلمين، والأمر أوضح من الشمس لكن القلب إذا اسوَدَّ ما يرى، فلا بد من أن يدخله نور العلم وإرادة الخير.

هي أمران الذي يجعل الإنسان يضل:

- علم غير صحيح.
- وإرادة فاسدة.

فإذا كان عند الإنسان إرادة فاسدة والله لو قرأ القرآن من أوله إلى آخره، وسمع السنة كلها إرادته الفاسدة لا تردُّه إلا إلى الفساد، وإذا كان عند الإنسان إرادة طيبة لكن ما عنده علم سيضِل، والدليل لا بد بعد ثبوته من أن يُعرف كيف يدل الدليل، وهذه ما يعرفها أكثر الناس، وجه الدلالة، وقاعدة الاستدلال هذه أكثر الناس ما يعرفها.

ولذلك بعض الناس يأتيكم -مثل ما تفضلتم- ويقول الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. طيب كيف استدليت بهذا؟

﴿**مَن**﴾ هنا للعموم ولا ليست للعموم؟ هل الكفر في الشريعة واحد، أو هناك كفر دون كفر؟ النبي ﷺ يقول: ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))[1]، وفي رواية: ((**فقد كفر**)) هل كل من حلف بغير الله يكفر كفرًا يخرجه من الملة؟ ما يعرفون هذا، ما يعرفون كيفية الاستدلال، ما يعرفون القاعدة التي تستعمل لتدل الآية على المقصود؛ ولذلك هذه الأمور، وهذه الأحكام إنما ترد إلى أهلها الذين يعرفون صحة الدليل، ويعرفون سلامته من المُعارض، ويعرفون وجه دلالته، ويعرفون القاعدة الدالة على مدلوله، ونحو ذلك.

المذيع: شيخ، ما ذنب التكفير؟ إذا إنسان كفر بغير وجه حق، ما ذنب التكفير؟

الشيخ: التكفير هو أقبحُ السَّبِّ على الإطلاق، أقبحُ سَبٍّ على الإطلاق أن تسُبَّ المسلم بأنه كافر، والمسلم ليس سبَّابًا، التكفير يجعلك على خطرٍ عظيم -أعني: الذي يُكَفِّر-؛ لأن من قال لأخيه: يا كافر فقد باءَ بها أحَدُهُما، تذهب إلى من قيلت فيه هذه المقولة، فإن كان كما قيل وإلا رجعت على صاحبها، وحارت على صاحبها، فالإنسان يُعَرِّض نفسه لِأن يعود الكفر عليه والعياذ بالله.

---

(١) رواه أبو داود، برقم: (٣٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٦٢٠٤).

يا أخي –سلمك الله من هذا– لماذا تُدخل نفسك في هذا الباب؟ الله لم يجعل الحكم لك، لماذا تخاطر بنفسك؟ يذهب التكفير إلى من قلتَ فيه إنه كافر فإن لم يكن كما قلتَ رجع إليك وحار عليك! التكفير تترتب عليه أحكام شرعية عظيمة: اختلال الأمن، وحصول الخوف، وانفصام الجماعة، فالإنسان لا بد من أن يكون حذِرًا، –يا أخي انظر–؛ النبي ﷺ وضع لنا قاعدة شريفة لطيفة: ((فإنما عليهم ما حُمِّلوا، وعليكم ما حُمِّلتُم))، أنت خلي همك ما الذي حمَّلني ربي؟ وإذا سلمك الله من أمانة فاحمد الله، قل: الحمد لله ما كلفني الله، أما تُدخل رأسك في كل شيء، هذا أحمق الذي يفعل هذا.

أمرك الله أن تصلي صلِّ والحمد لله، ما كلفك الله بما كلف به العلماء قل: اللهم أعنِ العلماء وأفرح أن الله ما كلفك، ما كلفك الله بما أمر به الحكام ادع الله أن يعين الحكام وأفرح أن الله سلمك، أما نريد من كل إنسان أن يكون عالمًا ومن كل إنسان أن يكون حاكمًا، نريد أن يكون كل أفراد الرعية حكامًا، ونريد أن يكون كل أفراد الرعية علماء؛ تضيع المصالح، وتصير الأمور فوضى. هذا الأمر ينبغي على العاقل أن يتنبه، ويأخذ هذه القاعدة، والله الذي لا إله إلا هو لن يسألك الله عن شيء إن لم يكلفك به؛ فلا تدخل نفسك واحمد الله على السلامة، وادعُ وأحسن الظن، أحسن الظن بولي أمرك، أحسن الظن بعلمائك، لا تزكِّ نفسك وتتهم الآخرين، اعمل بما عليك، وأحسن الظن بغيرك، وسل الله لهم التوفيق والهداية فيما أُوكِل إليهم؛ هذا إذا كنت سليم القلب، صحيح الإرادة، تسير على أصول صحيحة.

المذيع: الله يجزاك خير، شيخ، نرجع قليلًا إلى مقتل عثمان ﷺ، بعد مقتل عثمان صار ما صار بين معاوية ﷺ، وعلي ﷺ، ما هو تصرف المسلم الصحيح، واعتقاده الصحيح في هذه المسألة؟ خاصة يا شيخ؛ لأن الآن الفضاء مفتوح –مثل ما تفضلت– والناس تتكلم في كل أمر؛ فقد بعض الشباب يسمع مثل هذه الأمور.

الشيخ: بارك الله فيك، **أولًا**: أمر سلم الله منه سيفك فسلِّم منه لسانك، أمرٌ ما كنت فيه فلا تدخل نفسك بلسانك فيه، فهذه قضية.

الأمر الثاني: الواجب علينا بعد أن عرفنا فضل الصحابة، وأن الله قد رضي عنهم، وأن النبي ﷺ مات وهو راضٍ عنهم، أن نعرف فضلهم، وأن نكف عما شجر بينهم، ندرك جازمين أنهم ما أرادوا الدنيا، وإنما أرادوا الخير، وأنهم ما خالفوا الأصول الشرعية لكن منهم مخطئ ومصيب، والمخطئ المجتهد له أجر والمصيب له أجران، هذا ندركه يقينًا.

المذيع: شيخ، لما قلت: ما خالفوا الأصول الشرعية ومنهم مخطئ، فكيف ما خالف وأخطأ؟

الشيخ: الأصول الشرعية ما خرجوا ما كانوا على أصول فاسدة، ولكن اجتهدوا، كلٌّ يريد الحق.

المذيع: ضمن الأصول الشرعية.

الشيخ: ضمن الأصول الشرعية، فأصاب بعضهم باجتهاده وأخطأ بعضهم باجتهاده، هذه القاعدة عند أهل السنة والجماعة: ندرك فضلهم ونمسك عما شجر بينهم، ونوقن أنهم الخير طلبوا، وعن أصول شرعية انطلقوا، **والقتال الذي حصل في زمن علي ﷺ على نوعين:**

١. **قتال للخوارج**: وهذا شارك فيه كل من كان حيًّا من الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنه قتال مشروع.

٢. **وقتال عن اجتهاد**: هذا الذي سمي بقتال الفتنة، اجتنبه كثير من صحابة رسول الله ﷺ.

فكان صحابة رسول الله ﷺ على ثلاثة أقسام:

١. قسم اجتهد فرأى القتال في طرف أو في طرف.

٢. وقسم اجتهد فرأى الترك، وهؤلاء أكثر صحابة رسول ﷺ؛ لأنه قتال فتنة، وقتال الفتنة هو قتال له سبب صحيح في نظر صاحبه لا يخالف الأصول الشرعية لكنه قد يكون مخطئًا، وهذا الذي حصل بين صحابة رسول الله ﷺ ما اقتتلوا على دنيا.

المذيع: هو ماذا حصل شيخنا؟

الشيخ: الذي حصل كله كان عن تأويل بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وقبل استقرار الأمر لعلي رضي الله عنه في بداية الأمر، ثم حصلت أمور أخرى أعقبت ذلك، كلها بنيت على تأويل في الحق، ولا شك أن أهل السنة والجماعة يعرفون المصيب من المخطئ؛ ولكن يعرفون للمصيب فضله وصوابه، ويعرفون للمخطئ فضله واجتهاده، وهذه هي قاعدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب كما هو مقرر في كتب العقيدة.

المذيع: الله يجزيك خير يا شيخ، شيخنا ما نصيحتكم لمن ترك هذا المنهج الفاسد، والتزم بالمنهج الصحيح من أهل السنة؟

الجواب: الحمد لله.

أولًا: ينبغي عليه أن يحمد الله أن سلمه، فإن شياطين الإنس والجن تتخطف الناس تخطفًا في هذا الباب، فيحمد الله أن سلمه الله من هذا البلاء المبين.

ثانيًا: إن كان قد أفسد على سبيل العموم، أو على سبيل الخصوص فليصلح ما أفسد، فإن التوبة في مثل هذا الباب شرطها الإصلاح؛ أن يُصلح إن كان نشر أشياء فينبغي أن ينشر ما يضاد هذه الأشياء، إن كان دعا أشخاصًا يعرفهم إلى هذا المنهج المنحرف فالتوبة أن يدعوهم إلى ضده وإلى تركه، هذا لا بد منه.

والأمر الثالث: أن يبعد نفسه تمامًا عن موارد هذا المنهج المنحرف، ولو على سبيل الفضول، ولا يقل: أنا أعرف هذه المناهج؛ لأن الفتنة خطافة وهو حديث عهد فينبغي أن يبتعد عن موارده.

والأمر الرابع: أن يتخذ رفقة صالحة من أهل السنة والجماعة، يتخذ شيخًا معلمًا من أهل السنة، من أهل العقل، من أهل الرزانة مثل: الشيخ عزيز فرحان، قد آتاه الله حكمةً، وعلمًا، وهدوءًا ورويةً، يتخذه شيخًا، أنا أتكلم؛ لأنه في الإمارات، يتخذ الشيخ عزيز شيخًا، وهو -والحمد لله- أمثاله كثير في الإمارات، لكن أضرب مثالًا حتى أقرب فقط الصورة، ويتخذ رفقةً من إخوانه يكونون معه يُصبِّر بعضهم بعضا؛ لأن المعلوم من الشريعة أن الإنسان لا بد له من أن يعرف الحق، وأن يثبت عليه، وأن يصبر على هذا، لا بد من هذا.

وهذا كله داخل في قول الله ﷻ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لأن بعض الناس يقول: طيب نحن نصلي؛ إذن مهتدون! لماذا نقول اهدنا الصراط المستقيم؟ لأن الهداية قد تكون بمعرفة الحق، وقد تكون بالثبات على الحق والاستمرار عليه، فنحن عندما نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ يعني: علِّمنا الحق وثبتنا عليه حتى نلقاك فيحرص على المثبتات بعد أن عرف الحق.

ومن المثبتات أن يتخذ إخوة طيبين على منهجٍ رشيدٍ يُعاون بعضهم بعضًا، يتعاونون على البر والتقوى، ويدفع بعضهم عن بعض الشبه، ويُصبر بعضهم بعضًا حتى يصبروا في هذا الزمان؛ لأن اليوم والله! القابض على المنهج الرشيد كالقابض على الجمر.

الناس تتناوشك من كل مكان، أنت تريد لهم الجنة وهم لا يرقبون فيك إلًّا وذمةً، فتحتاج إلى صبر تصبير وتثبيت حتى تكون على هدى، وإذا استطاع أن يدعو من حوله ممن يعرف أنهم على غير هذا المنهج الرشيد، ولكنهم ليسوا أقوى منه فإنه يدعوهم بحسب استطاعته، بارك الله فيكم.

المذيع: الله يجزيك خير شيخ ومشكور على وقتك تعبناك معنا.

الشيخ: بارك الله فيك، أبدًا أبدًا والله يجزاكم خير، ونحن تعمدنا كما قلتم حديث عفوي فأردناه أن يكون حديثًا عفويًا، وإن كانت اللغة الفصحى تغلب علينا، أنا من النوع الذي لا يستطيع أن يتكلم بالعامية؛ لأنه منذ الصغر ونحن نتكلم الفصحى تعلمنا في الجامعة ومن المتوسط؛ فيعني: العفوية الممكنة بارك الله فيك.

الله يهدينا وإياكم ويهدي المسلمين أجمعين، والله إنّا نحب للمسلمين الخير، ونحب للمسلمين الهداية، نريد لهم الأمن، نريد لهم الاستقامة على دينهم، نريد للجماعات، نحن اعتقادنا أن الأمة بعد أن كانت دائرة واحدة صارت حلقة مكونة من حلقات، كل دولة هي حلقة في هذه الأمة، قوتها قوة للأمة، والحفاظ عليها حفاظ على الأمة، وإذا عرفنا أن دولةً فيها أمن واجتماع مع دين وألفة؛ نفرح بهذا، ونحرص على تقويته، ونحن والله ولله الحمد والمنة ما نتقرب إلى أحد بهذا، هذا ديننا نتقرب به إلى الله ﷻ، نريد الخير للناس.

والله الذي لا إله إلا هو لو عرفنا أن الخير في غير ما نقول لتركنا ما نقول إليه، لكن هذا هو دين الله، وهذا خير الناس وهذه مصلحة الناس، ونحن نريد للناس الخير، والله والله إنّا ندعو في خواص دعائنا لكل مسلم أن يهديه الله الصراط المستقيم، وأن يثبته على الخير، وأن يوفقه إلى كل خير، ما عندنا إلا إرادة الخير للمسلمين.

وأنتم جزاكم الله خير على ثغر، ومثل هذا البرنامج وهذه الطريقة الحديثة مفيدة ومناسبة، وأنا أوصيكم بالحرص على ما ينفع الناس وبالاجتهاد، والأصوات الطيبة لا بد أن تبرز لا بد أن تظهر حتى يصل إلى الناس الخير، وأنا وأنت وأحبابنا لا ننطلق إلا من حب الخير للناس، والله نحب الخير للغير، ودنا والله ودنا أن ندخل جميعًا الجنة معًا، وأن نكون في أهل الجنة، ويرزقنا الله والمسلمين

الجنة، ودنا بهذا، والله ما نتكلم إلا من أجل هذا، ولا نحث إلا من أجل هذا، نريد المصـــلحة في الدنيا ورضى الله ﷻ عنا، وأن نصل إلى جنة رب العالمين.

المذيع: اللهم آمين، الله يجزيك خيرًا، نشوفكم إن شاء الله في حلقة ثانية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.